



المحاضرة الثانية



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله. أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

نبدأ إن شاء الله تبارك وتعالى في دراسة كتاب (صحیح الأدب المفرد)، وقد تكلمنا في المرة الماضية عن نفخة يسيرة في ترجمة الإمام البخاري رحمه الله مصنف هذا الكتاب، وقلنا أن الإمام البخاري صنف كتاب الأدب المفرد كتاباً مستقلاً بخلاف كتاب الأدب الذي في الصحيح، وميز الشيخ الألباني رحمه الله الصحيح من الضعيف في هذا الكتاب، فأخرج كتاب صحيح الأدب المفرد كذلك أخرج كتاب ضعيف الأدب المفرد،



قبل أن ندخل في شرح الكتاب نتكلم في مقدمة عن الأدب لغة وإصطلاحاً وأنواعه،

الأدب في اللغة:

إسم مأخوذ من مادة (أدب) والتي تدل على معنى تجميع الناس إلى الطعام، والآدب هو الداعي لذلك، ومن هذا القياس أيضاً الأدب لأنه مُجمع على إستحسانه (أى أن هناك إجماع على إستحسان الأدب وهذا ليس فيه خلاف). وقال بن منظور: سُمى أدباً لأنه يأدب الناس إلى الخامد وينهاهم عن المقابح، وقال أيضاً: أصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس مدعاة ومأذبة.

الأدب في الاصطلاح:

قيل هو عبارة عن معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ،

قال المناوي: الأدب هو رياضة النفوس ومحاسن الأخلاق ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل.

قال بن القيم رحمه الله: وحقيقة الأدب إستعمال الخلق الجميل، ولهذا كان الأدب إستخراج لما في الطبيعة من الكمال من القول إلى الفعل (أى أن الإنسان إذا تكلم بالأدب لا بد أن يظهر ذلك على سلوكه، والأدب إذا ظهر في السلوك هذا دليل على أدب الباطن وصلاح القلب، وإن ظهر قلة الأدب في الظاهر هذا دليل على فساد الباطن وفساد القلب).



وقيل : هو الكلام الجميل الذى يترك في نفس سامعه أو قارئه أثراً قوياً يحمله على إستعادته والإستزادة منه وإلى محاكاته .

وقيل : هو الأخذ بمكارم الأخلاق ، وبعبارة أخرى الوقوف مع المستحسنات (أى ما يحمد قولاً وفعلاً) مثل تعظيم من فوقك والرفق بمن هو دونك؛ لذلك قال صلى الله عليه وسلم " ليس منا من لم يُوقر كبيرنا ولا يرحم صغيرنا ولا يُعطي عالمنا حقه " (و ليس مثل) هنا تعنى (ليس على هدينا) لأن النبي صلى الله عليه وسلم من هديه أنه كان يرفق بمن دونه ومن فوقه لأنه كان معلماً كما في حديث معاوية (والله ما رأيت معلماً أحسن تعليماً منه صلى الله عليه وسلم) .

يقول أيضاً بن القيم رحمه الله : علم الأدب هو علم إصلاح اللسان والخط اب وإصابة مواقعه وتحسين ألفاظه عن الخطأ والخلل وهو شعبة من الأدب العام .

وعلى هذا فالأدب إستعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، وبتعبير آخر الأخذ بمكارم الأخلاق أو الوقوف مع المستحسن . (هذا هو تعريف الأدب).

سؤال : هل هناك علاقة بين الأدب والتأديب و التأدب ؟

نعم ، هناك علاقة بينهم فيتفرع التأديب و التأدب عن الأدب ،

فالتأدب : معناه التصرف اللائق الذى يتفق مع المروءة، على سبيل المثال : لو أن رجلاً يأكل في الشارع فهل هذا من الأدب أم لا ؟ سَيُنظَر هل الأكل في الشارع من خوارم المروءة أم لا ، فقضية خوارم المروءة تختلف باختلاف الزمان والمكان، فمن الممكن أن يشتهر بين الناس أن الطعام والشراب في الشوارع والطرقات ليس من خوارم المروءة ، فلو أكل أو شرب فهذا لا يُناقض الأدب ولا المروءة، أما إن الأكل أو الشرب في الشوارع أو الطرقات من خوارم المروءة فهذا دليل على قلة الأدب .

أما التأديب : فهو تعليم فضيلة من الفضائل ومعاقبة من يخالف ذلك على إسنائه ، ولم يقل يعلمه علماً ينتفع به لأن ليس

كل متعلم مؤدب ، من الممكن أن يكون جراباً يحمل علماً كثيراً وقليل الأدب بدليل أنه يتناول على العلماء مثلاً فتجد شاباً في بداية طلبه ويتعلم قضية من القضايا ويقول أخطأ فيها مالك وهذا قول شاذ للحنفيه، كتب لى شاب العام الماضى يقول فيها بعدم جواز صلاة المريض على الكرسي ويلزمه أن يصلى على الأرض لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسن ومرض صلى جالساً على الأرض ، فقال طالما أنه صلى جالساً على الأرض لا يجوز له الصلاة على الكرسي وقال: ببدعية الصلاة على الكرسي لأصحاب الأعدار، وهذا رأى نفسه عظيماً وإماماً وسط الأئمة فخاض فبدأ يفسق ويبدع ويجرح



ويعدل وصدور نفسه قاضيا على علماء الأمة وهذا ليس من سوء الأدب وإنما من قلة الأدب لأن الكلام في القضية واسع وما وسع هذه الأمة لاسيما في مسائل الخلاف يسعنا نحن ويلزمنا العمل به .

وسُميت المعاقبة تأديباً لأنها تدعو إلى حقيقة الأدب، فكون المرء يؤدب من يُربيه فهذا لمصلحته هو وليس لمصلحة المؤدب ، فإذا رأيت غلظة من شيخك فاصبر عليه لأنه يريد مصلحتك أنت، فهناك من يريد أن يأخذ الأمور ببساطة ولا يريد أن يضغط عليه أحد لكي يذاكر، لكن المرء يحتاج إلى كثير من الأدب أما العلم فسيأتي إن كان صاحب هممة عالية ويستطيع أن يحصل ما لم يحصله غيره في سنوات يسيرة ، لذلك فالشيخ يختصر من عمر التلميذ فيجب على التلميذ ألا يزهد فيما يقوله الشيخ وإن كان يعرفه ، وهذا نوع من أنواع ع الأدب في التلقى يملك على التواضع، فالإمام أحمد كان يُزاحم الصغار في مجالس العلم حتى ان بعض الناس نهاه عن ذلك وقال (وأنت إمام المسلمين تذهب إلى مجالس العلم وما زلت تحمل القلم والمحبرة) قال (مع المحبرة إلى المقبرة) وكان الإمام أحمد إمام الدنيا وكان يُشار إليه بالبنان ويقولون هذا هو إمام المسلمين رحمه الله.



أنواع الأدب:

فقال بن القيم والأدب ثلاثة أنواع :-

- ١ - أدب مع الله سبحانه وتعالى .
- ٢ - أدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم وشرعه .
- ٣ - أدب مع خلقه .

أولاً : الأدب مع الله عز وجل

وهو على ثلاثة أنواع :-

- إحداها : صيانة معاملته أن يشوبها نقيصة (أى لا تأتي حراما أو تأتي ذنوب ومعاصي فكل هذه نقائص وأعظم هذه الذنوب على الإطلاق الشرك)
- الثانية : صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره (أى في العمل فمن إلتفت إلى غير الله بقلبه وكله الله إلى هذا الشئ ، أما من تعلق بالله عز وجل وجعله همه في كل شأنه كفاه الله كل همومه وفرغ قلبه لمحبتة ولسانه لذكره وجوارحه لطاعته) .



- الثالثة : صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه (أى أن الله عز وجل يمقت على العبد أشياء فيجب على العبد أن تصون نفسه من أن يسخطه الله ولو سخط عليه الساخطون ، فمن أ سخط الله في رضا الناس سخط عليه الله وأسخط عليه الناس ومن ارضى الله في سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس) .
فالأدب مع الله حسن الصحة معه بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء (أى يجعل نفسه لله فلا تتحرك إلا به ولا تتكلم إلا به ، قال تعالى : **﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** سورة الأنعام (١٦١-١٦٢-١٦٣)

وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل ، ولهذا كان الأدب إستخراج ما في الطبيعة من الكمال (أى الكمال البشرى وقد مات بموت النبي صلى الله عليه وسلم) من القول إلى الفعل وقد تم ذكره قبل ذلك ، فالأدب هو الطريق الموصل إلى الكمال البشرى ، فإن الله سبحانه هبئ الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والإستعداد التي جعلها فيه كامنة فأهمله ومكَّنه وعرفه و أرشده وأرسل إليه رسله وأنزل إليه كتبه لإستخراج تلك القوة التي أهله بها لكماله إلى الفعل .

**أدب الأنبياء والمرسلين مع الله عز وجل :-

- أدب الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله عز وجل :
يقول جرت عادة القوم أن يذكروا في هذا المقام قوله الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم حين أراه **﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾** [سورة النجم -١٧]؛ نزلت هذه الآية في رحلة الإسراء والمعراج ، يصدر العلماء باب أدب النبي صلى الله عليه وسلم مع ربه بهذه الآية ، فما وجه الأدب في هذه الآية ؟ أى أن النبي صلى الله عليه وسلم ما التفت يمنة ويسرة، وهذا من الأدب إذا خاطبك مُخاطب لا بد أن تتوجه إليه، وإذا خاطب مُخاطب الناس لا بد أن يلتفت إليهم لا يلتفت عنهم يمنة ولا يسرة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كلم أحد توجه إلي ه بكليته، والكلام كثير عن أدب النبي صلى الله عليه وسلم مع ربه سبحانه وتعالى .

- أدب عيسى عليه السلام مع ربه عز وجل :

في آيات نهاية سورة المائدة حين قال لربه: **﴿... إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾** [المائدة: ١١٦] ولم يقل لم أقل وهذا أسلوب فيه نوع من الاعتراض مع نوع من العزة أو نوع من سوء الأدب مع المُخاطب ، فمن تمام الأدب إذا إقتمك أحد تقول (إن كنت قلتة فقد علمته) والله المثل الأعلى .



• أدب الخليل إبراهيم عليه السلام مع ربه :

في قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام **{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}** [سورة الشعراء ٧٨-٧٩-٨٠] ولم يقل وإذا أمرضني بالرغم أن الذي يبتلى بالمرض هو الله ومع ذلك نسب المرض إلى نفسه ولو أنه قال أن الله هو الذي أمرضني ليس فيه سوء أدب ولكن كمال الأدب أن يقول وإذا مرضت.

• وانظر إلى كلام الخضر عن السفينة قال : **{ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا }** [الكهف:٧٩] ولما تكلم عن الغلامين قال : **{ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَثْرَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ }** [الكهف:٨٢] فلما تكلم عن العيب نسبة إلى نفسه (فأردت) مع أن الله عز وجل هو الذي أمره وهذا فيه أدب مع الله عز وجل ، ولما تكلم عن الله عز وجل من صفاته أنه هو الذي يحيي ويميت وهو الذي جعل هذين الغلامين يصلان إلى سن الرشد (فأراد ربك) فنسب المشيئة إلى الله عز وجل وما قال فانتظرت حتى يبلغا أشدهما .

• حتى مؤمن الجن قالوا **{وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا }** [الجن: ١٠] كلمة (أريد) مبنى لما لم يسمى فاعله ولم يقولوا بمن أراد الله بهم .

• قول موسى عليه السلام **{ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }** [القصص: ٢٤] ولم يقل يا رب إني جائع فأطعمني.

• قول يوسف عليه السلام **{ ... وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ }** [يوسف: ١٠٠] فلماذا لم يقل اخرجني من الجب والسجن ؟ لأنه تأدب في الألفاظ حتى لا يذكر إخوته بما فعلوه معه فيقعوا في حرج، وقال **{ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ }** ولم يقل وكنتم فقراء ، ثم قال **{ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي }** فهذا أدب عالي نحتاج إليه لاسيما في زمننا ، **{ من كان هينا لينا سهلا حرمه الله على النار }** وقال صلى الله عليه وسلم **{لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا}** فنحن أحوج إلى الأدب أكثر منه إلى العلم.

إذا المقصود أن الأدب مع الله هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً والله عز وجل يقول **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً }** [البقرة: ٢٠٨] أى في الإسلام كله فلا تأخذ ما يعجبك وتترك ما لا يروق لك ، فلا تجعل هواك هو

الحكم ولكن جعل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي الحكم عليك حتى لو خالف هواك **{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا }** [الفرقان: ٤٣] ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله تعالى إلا بثلاثة أشياء (بمعرفة

أسماء الله وصفاته - ومعرفة بدينه وشرعه وما يجب وما يكره - ونفس مستعدة لينة منهية لقول الحق علما وعملا وحالا)



الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا يعني كمال التسليم له والإنقياد لأمره وتلقى خبره بالقبول والتصديق ، إذ من أصول وثوابت في اعتقاد أهل السنة والجماعة التسليم المطلق لأمر الله ورسوله **{قَالَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [النساء: ٦٥]

من مظاهر الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم :

١) ألا يتقدم بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** [الحجرات: ١] وهذا باقى إلى يوم القيامة لم ينسخ ؛ بعض الناس يقول هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لا نقدم قولاً ولا فعلاً ؛ فكيف هذا بعد موته . أى لا نقدم قولاً على سنته صلى الله عليه وسلم

✓ قال مجاهد رحمه الله : (لا تقدموا) بمعنى لا تفتاتوا

✓ وقال أبو عبيدة تقول العرب : ما تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب أى لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه.

✓ وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى

٢) من الأدب معه صلى الله عليه وسلم ألا ترفع الأصوات فوق صوته فإنه سبب لحبوط العمل ؛ ما ظنك برفع الأراء التى دخلت بلاد المسلمين وترفع على سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا كان رفع الصوت محبط للعمل التى مقصود منها تطويد ما جاء به صلى الله عليه وسلم .

٣) ألا يجعل دعائه كدعاء غيره **{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنِكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}** [النور: ٦٣]

٤) من الأدب معه ألا يستشكل قوله إنما يستشكل أقوال وآراء الرجال أو تستشكل الآراء فلا يعارض قوله بقوله أحد كائن من كان والأئمة الكبار مثلاً (المقدمة النافعة للشيخ الألبانى في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم) ٥٥ صفحة كاملة يتكلم فيها الشيخ عن التعصب المذموم وأنه لا يجوز أن يقدم قولاً على قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥) كمال التسليم له والإنقياد لأمره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أن تحمل قول معارض على قوله (مرة كنت بتكلم في مسألة زكاة الفطر ذكرت الأدلة فخرج بعض إخواننا وقال أن الشيخ يقول بجواز إخراج الكيل ويا ليته كان يتكلم بأدب ، قالها بكل شدة وكل غلظة وكأنه ينهاني أن أقول قول النبي صلى الله عليه وسلم : "زكاة



الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو شعير أو بر " ما رأيكم كيف نرد على أمثال هؤلاء ؟ نبين له من باب الحجة والإعذار إلى الله فإن كَابَرَ فلا يلومن إلا نفسه ونحن فعلنا ما أمرنا الله به)

ثالثاً: الأدب مع الخلق :

فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم معاملتك مع أصدقائك ليس مثل كلامك مع الشيخ كذلك مع الأب فأنت تعامل الناس على حسب مراتبهم فكل مرتبة بها أدب خاص فمع الوالدين أدب خاص فالأب هو رمانة الميزان والأم للتربية والإشفاق والأب بالإنفاق لكن الأب له شأن خاص. ومع العالم أدب آخر ومع السلطان أدب يليق به ومع الأقران أدب يليق بهم ومع الأجانب أدب غير أدبه مع أصحابه وذوى أنسه ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته ، كل إنسان تخاطبه بما يليق به . ولكل حال أدب كل حياتك آداب ؛ للأكل آداب وللشرب آداب وللركوب والخروج والدخول آداب وللتنبول آداب وللكلام آداب وللسكوت والاستماع آداب الأصل في حياتك كلها أن تكون مرتبطة بالأدب ؛ إذ أن كل شئ تقوم بفعله فيه سنة ؛ النبي صلى الله عليه وسلم بين كل شئ فيها ، فمن حصل السنن فليحمد الله على ذلك ومن لم يحصلها فلا يلومن إلا نفسه لأنه هو الذى فرط وقصر في تحصيلها .

يقول : «وَأَدَبُ الْمَرْءِ عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ . وَقَلَّةُ أَدَبِهِ عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ، فَمَا اسْتَجْلِبَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ وَلَا اسْتَجْلِبَ حِرْمَانَهَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ . فَأَنْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ : كَيْفَ نَجَى صَاحِبُهُ مِنْ حَسَبِ الْغَارِ حِينَ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ؟ وَالْإِخْلَالَ بِهٍ مَعَ الْأُمِّ تَأْوِيلًا وَإِقْبَالَ عَلَى الصَّلَاةِ كَيْفَ امْتَحَنَ صَاحِبُهُ بِهَدْمِ صَوْمَعَتِهِ وَضَرْبِ النَّاسِ لَهُ وَرَمِيهِ بِالْفَاحِشَةِ» (قصة جريج العابد).

وتأمل أحوال كل شقى ومفتر ومجبر كيف تجد قلة الأدب هي تشاهد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان، فالناس دائما يتجنبونه لقلّة أدبه فمن الناس من يتقى لفحشه وبذاءة لسانه أو ما شابه ذلك فإن حسن الخلق والأدب هو مقام الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وإتباع سنته بفضل الله جل وعلا القائل في كتابه { لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا } [البقرة: ٣٢] وهو القائل {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١] فإن هذا هو مقام التخلق بأخلاق الشرع الحنيف وتأدب بأداب الله التي أدب بها عباده في كتابه الكريم وقصد به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال الله عز وجل له صلى الله عليه وسلم {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] والرسول صلى الله عليه وسلم هو القائل : "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" وفي رواية "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" والسيدة عائشة رضی الله عنها وصفت خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : "كان خلقه القرآن" أو "كان قرآنا يمشى على الأرض" والكلام في حسن الخلق والأدب طويل يحتاج دراسة وأرى أن ندرس حسن الخلق بدل الأدب المفرد.



والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي تدل على معنى الأ دب كقوله تبارك وتعالى : **{ وَأَتُوا النُّبُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا }**

[البقرة: ١٨٩] تتكلم معها حتى تقتنع أنها زوجة وبعد ذلك قطعت الصلة بينك وبينها لا تزال أجنبيه عنك، النبي صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ أروع مثل كان يتعامل مع تسع نسوة في آن واحد؛ عائشة رضى الله عنها تحكى له عن النسوة اللاتي تعاهدن على ألا يجرن من أخبار أزواجهن شيئا وتأتى تح كى للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يسمع صلى الله عليه وسلم، فَلْنَا فِيهِ أُسُوة . زوجتك أولى الناس بك بأن تسمع لها ولا تصدها .

- كما جاء في القرآن عن الأدب **{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}** [النحل: ٩٨] أدب من آداب التلاوة؛ شبهة قرأت فعل ماضى معناها إذا شرعت في القراءة .

- وكقوله تبارك وتعالى **{ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ}** [المؤمنون: ٩٦]

- **{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [النور: ٥١]

- **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** [فصلت: ٣٣] اقرأوا تفسيرها ...

أحسن الناس قولاً على الإطلاق هم الدعاه وهذا اصطفاء من الله تبارك وتعالى للداع أن يصطفيه بأن يبلغ دين الله تبارك وتعالى.

الآيات كثيرة في الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك أدب الإنسان مع أخيه الإنسان ؛ مثل غض البصر عند دخول البيوت وما شابه ذلك والأدلة كثيرة .

كذلك السنة هناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ، ممكن نجتزئ على أمثلة تطبيقية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم عن الأدب فعن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره الأشياخ ، فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ، فقال : لا والله يا رسول الله ، لا أوتر بنصيبي منك أحدا كأنه يقول أفعل ما شئت .

عن أنس بن مالك رضى الله "إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَبْدُ إِذَا دُعِيَ" وفي رواية أخرى أنها كانت تطوف به في طرقات المدينة حتى تذهب به إلى آخر المدينة وتتركه صلى الله عليه وسلم وتذهب "

والأمة هي البنت دون البلوغ لأن بعض الناس تقول : كيف ما مس النبي صلى الله عليه وسلم يد امرأة أجنبيه والحديث؟؟ نقول له : " حِبت وخسئت ، كيف تقيس البنت على المرأة البالغ ، ما مس النبي صلى الله عليه وسلم يد امرأة أجنبيه قط وما صاحف امرأة أجنبيه قط إنما كان يجابع النساء بالكلام صلى الله عليه وسلم .



عن عبد الله بن بشر رضى الله عنهما " قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قومه لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن بركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم "

هل مسألة الرد على الهاتف تأخذ ه ذا الحكم؟ المستأذن يلقي السلام أم صاحب الدار، كنت أقول نعم؛ وللأسف بدأت أخطب الناس على قدر فهمها وهذا أيضا من السنة وألقى السلام أولاً، ولو علم سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يأتي عن يمين الباب أو الشمال ويقول السلام عليكم ؛ فالذي يلقي السلام المستأذن وليس صاحب الدار.

- والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعجب أن يدعوا الرجل بأحب الأسماء إليه

عن أنس بن مالك قال : خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي في سفر فكان يخدمني فقلت له لا تفعل ، فقال له إني رأيت الأنصار تصنع لابن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ألي ت ألا أصحاب أحدا منه إلا خدمته ". أراد أن يخدم الأنصار

لخدمتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال مجاهد في قوله تعالى { **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** } [التحریم: ٦] قال : "أوصوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبهم "

كما قال ابن عباس : "علموهم وأدبوهم " وكذلك قال : علي

سئل الحسن البصري رحمه الله عن أنفع الأدب فقال : "التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله عليك "

قال يحيى بن معاذ : "من تأدب بأدب الله سار من أهل محبته فإذا أحبك الله فنعمة العبد أنت " ينادي جبريل عليه السلام أن أحب فلاناً.. سل نفسك هذا السؤال هل نادى الله تبارك وتعالى باسمك في السماء.

قال عبد الله بن المبارك : "من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة" أى معرفته بالله تبارك وتعالى.

وقال أيضا : "نحن بقليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم"

وطبعا كما قال غيره : "ليكن علمك ملحا وأدبك دقيق" الملح عبارة شئ يضبط الدقيق لو زاد لفسد ولو قل لحرم الإنسان من أكله.

**** أطلب العلم وأطلب الأدب فبالأدب تصل إلى العلم ولا تكن حشويا****

فلان يحفظ كل أقوال العلماء في قضية من القضايا ولكنه قليل الأدب فهذا لا ينفعه علمه . فقد قرأت أبحاث لبعض الأخوة قوية جدا ولكن لسانه من أسوأ ما رأيت في حياتي والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا بدئى .

قال أبو حفص السهروزي -رحمه الله- : «حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ . فَالْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ حُسْنُ الصُّحْبَةِ مَعَهُ يَأْقِاعُ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ عَلَى مُقْتَضَى التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالْحَيَاءِ»



ولذلك العلماء يقولون هناك علاقة بين الأدب والعقيدة أو بين حسن الخلق والمعاملات والعقيدة ، فمن كان عنده جزئية فيها خلل من الاعتقاد كان عند خلل في سلوكياته فإذا رأيت رجلا يعصى الله جل وعلا فاعلم أن اعتقاده فيه خلل وإذا رأيت رجل سئ الأخلاق أعلم ذلك . فهناك ارتباط وثيق بين العقيدة وبين الأخلاق .
قال بعضهم ألزم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا .

وقيل الأدب في العمل علامة قبول العمل . تتأدب في عملك ؛ مثلا كنت مؤدبا مع شي خك أعلم أن الله وفقك لهذا الأدب معه فتستفيد منه فترزق العمل بهذا العلم .

قابلت أخاك بوجه طلق؛ علامة قبول في العمل كونك تتعامل بالأدب فهذا قبول في باب الأدب .

فوائد الالتزام بالأدب

- ١ يُصفى سلوك الفرد بما يشينه وينتقصه
 - ٢ يجعل الناس يتحلون بالحمد والمكارم ويتعدون عن المناقص
 - ٣ يجعل الإنسان يحترز عن الخطأ و يتحرى الصواب ويهذب الأخلاق ويصلح العادات
 - ٤ يحقق الالتزام بالأدب الوحدة في التلقى والتعلم فلو تأدبت بأداب الإسلام لكنت من الفائزين
- هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

